

الغدير

[2] * (الشعر والشعراء) * ونحن لا نرى شعر السلف الصالح مجرد ألفاظ مسبوكة في بوتقة النظم، أو كلمات منضدة على أسلاك القريض فحسب، بل نحن نتلقاه بما هناك من الأبحاث الراقية في المعارف من علمي الكتاب والسنة، إلى دروس عالية من الفلسفة والعبر والموعظة الحسنة والأخلاق، أضف إليها ما فيه من فنون الأدب، ومواد اللغة، و مبانى التاريخ، فالشعر الحافل لهذه النواحي بغية العالم، ومقصد الحكيم، ومآرب الأخلاقي، وطلبه الأديب، وأمنية المؤرخ وقل: مرمى المجتمع البشري أجمع. وهناك للشعر المذهبي مآرب أخرى هي من أهل ما نجده في شعر السلف. ألا؟ وهي الحجاج في المذهب، والدعوة إلى الحق، وبث فضائل آل الله، ونشر روحيات العترة الطاهرة في المجتمع، بصورة خلاصة، وأسلوب بديع، يمازج الأرواح، و يخالط الأدمغة، فيبلغ هتافه القاصي والداني، وتلوكه أشداق الموالي والمناوئ مهما علت في الكون عقيرته، ودوخت الأرجاء شهرته، وشاع وذاع وطار صيته في الأقطار، وقرطت به الآذان. مهما صار أحدوة تحدو بها الحداة، وأغانى تغنى بها الجواري في أندية الملوك والخلفاء والأمراء، وتناغى بها الأمهات الرضع في المهود، ويرقصنها بها بعد الفطام في الحجور، ويلقنها الآباء أولادهم على حين نعومة الأطفار، فينمو ويشب وفي صفحة قلبه أسطر نورية من الولاء المحض بسبب تلك الأهازيج، وهذه الناحية (الفارغة اليوم) لا تسدها خطابة أي مفوه لسن، ولا تلحقه دعاية أي متكلم، كما يقصر دون إدراكها السيف والقلم. وأنت تجد تأثير الشعر الرائق في نفسيتك فوق أي دعاية وتبليغ، فأى أحد يتلو ميمية الفرزدق فلا يكاد أن يطير شوقاً إلى الممدوح وحباً له؟ أو ينشد هاشميات الكميت فلا يمتلئ حجاجاً للحق؟ أو يترنم بعينية الحميري فلا يعلم أن الحق يدور على الممدوح بها؟ أو تلقى عليه تائية دعبل فلا يستاء لاضطهاد أهل الحق؟ أو تمكُ سمعه ميمية الأمير أبي فراس فلا تقف شعرات جلده؟ ثم لا يجد كل عضو من يخاطب